يوسف عليه السلام

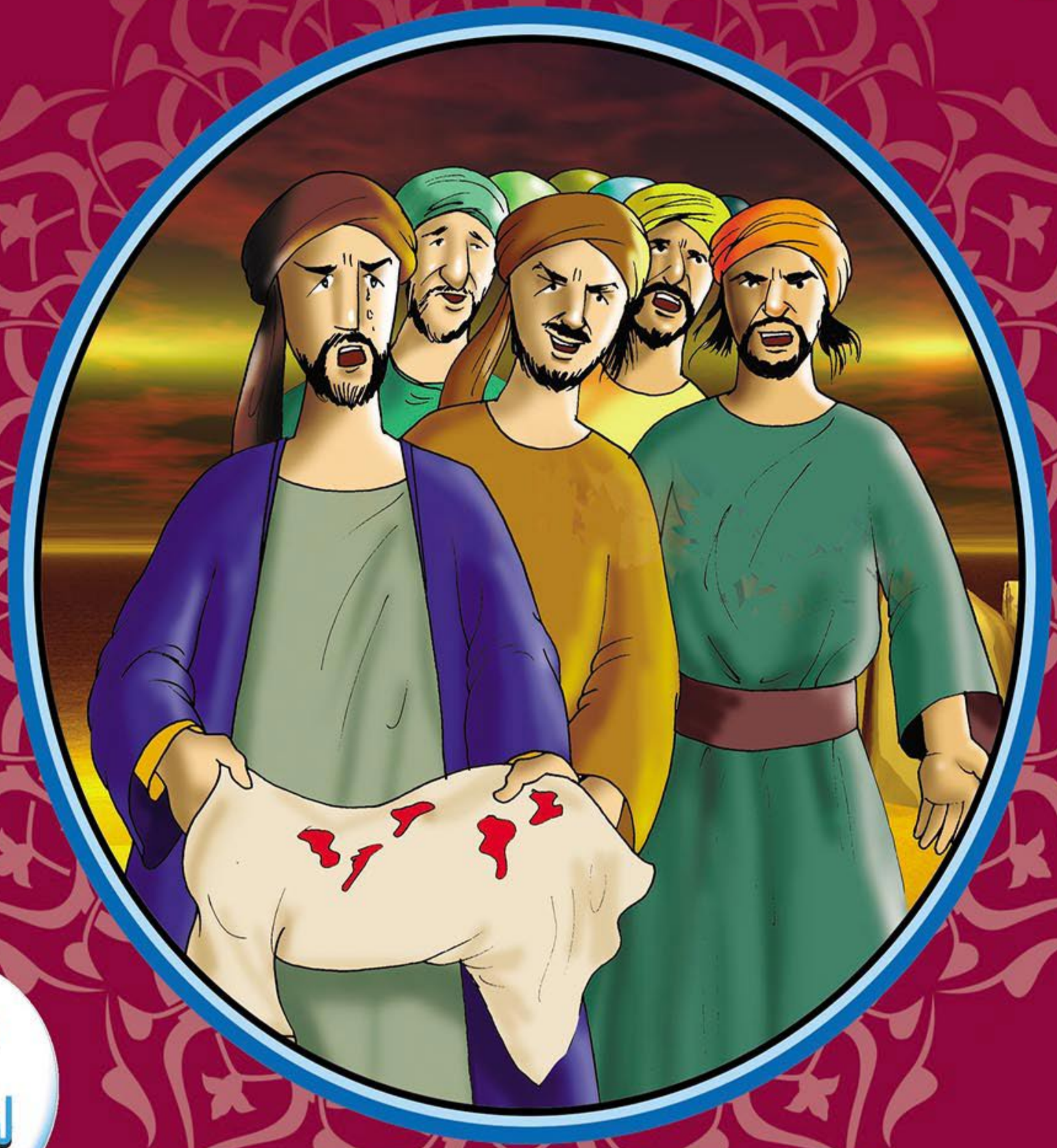

قصة لطفلك

رَأَى يُوسُفُ وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ رُؤْيَا، فَذَهَبَ إِلَى أَبِيهِ يَعْقُوب وَقَصَّ عَلَيْهِ تِلْكَ الرُّؤْيَا.. لَقَدْ رَأَى أَنَّ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ يَسْجُدُونَ لَهُ، فَنَصَحَهُ أَبُوهُ أَلاَّ يَقُصَّهَا عَلَى إِخْوَتِه.

أَمَّا إِخْوَةُ يُوسُفَ فَكَانُوا يَكْرَهُونَ أَخَاهُمْ بِسَبَبِ حُبِّ أَبِيهِمْ لَهُ. فَأَخَذُوا قَرَارًا بِالإِجْمَاعِ أَنْ يَتَخَلَّصُوا مِنْ يُوسُفَ، وَلأَنَّ الأَبَ كَانَ يَعْرِفُهُمْ جَيِّدًا، كَانَ يَحْرِصُ دَائِمًا أَلاَّ يَتْرُكَهُ مَعَهُمْ.

لَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةُ أَصَرُّوا عَلَى أَخْذِه، وَاسْتَطَاعُوا أَنْ يُقْنِعُوا وَالِدَهُمْ، فَسَمَحَ لَهُمْ " يَعْقُوبُ " أَنْ يَأْخُذُوا يُوسُفَ.

مَا إِنِ انْطَلَقُوا بَعِيدًا، حَتَّى تَوَصَّلُوا لِفِكْرَةِ أَنْ يُلْقُوا بِهِ فِي أَعْمَاقِ الْجُبِّ، فَحَمَلُوهُ وَرَمَوا بِه، وَأَخَذُوا قَمِيصَهُ وَلَطَّخُوهُ بِدِمَاءِ شَاةٍ، ثُمَّ انْطَلَقُوا إِلَى أَبِيهِمْ يَتَصَنَّعُونَ الْبُكَاءَ، وَأَمْسَكُوا بِالْقَمِيصِ، وَقَالُوا: إِنَّ الذِّئْبَ أَكَلَ يُوسُفَ. شَعَرَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أَنَّ فِي الأَمْرِ خُدْعَةً، لَكِنَّهُ صَبَرَ.

كَانَ هُنَاكَ بَعْضُ الْمُسَافِرِينَ مُتَّجِهِينَ إِلَى مِصْرَ، وَأَثْنَاءَ مُرُورِهِمْ، أَرْسَلُوا أَحَدَهُمْ لِيَأْتِيَ لَهُمْ بِمَاءٍ، وَبَيْنَمَا هُوَ يُدْلِي دَلْوَهُ وَيَرْفَعُهُ لأَعْلَى، إِذَا بِهِ يَجِدُ غُلَامًا رَائِعَ الْحُسْنِ، اسْتَبْشَرَ الرَّجُلُ خَيْرًا، وَحَمَلَهُ وَعَادَ بِهِ إِلَى الْقَافِلَةِ، قَالُوا: عَلَيْنَا أَنْ نَتَكَتَّمَ أَمْرَ هَذَا الْغُلَامِ، لأَنَّنَا سَوْفَ نَبِيعُهُ فِي مِصْرَ.

وَبَاعُوهُ بِثَمَنٍ قَلِيلٍ، وَاشْتَرَاهُ رَجُلٌ كَبِيرٌ مِنْ كُبَرَاءِ مِصْرَ، يُطْلَقُ عَلَيْهِ اسْمُ " الْعَزِيزِ" مَا إِنْ رَأَى يُوسُفَ حَتَّى شَعَرَ أَنَّ هَذَا الْغُلَامَ يَحْمِلُ أَمَارَاتِ النَّبَاهَةِ وَالذَّكَاءِ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ أَبْنَاءٌ، فَقَالَ هَذَا الْغُلَامُ أُرَبِيهِ وَأَجْعَلُهُ مِثْلَ ابْنِي، وَعَرَضَ الْفِكْرَةَ عَلَى زَوْجَتِهِ فَرَاقَتْ لَهَا وَأَعْجَبَتْهَا، وَوَافَقَتْ فِي الْحَالِ، وَهَكَذَا عَاشَ " يُوسُفُ" عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي قَصْرِ الْعَزِيزِ.

وَيَكْبُرُ "يُوسُفُ" عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُصْبِحُ شَابًّا يَافِعًا، رَائِعَ الْحُسْنِ، وَكَانَ أَيْضًا كَرِيمَ الْخِصَالِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَانَ " عَزِيزُ مِصْرَ " يَزْدَادُ إِعْجَابُهُ بِيُوسُفَ كُلَّ يَوْمٍ، وَلَقَدْ أَحَبَّتْهُ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ، فَقَرَّرَتْ أَنْ تَدْعُوَهُ لِنَفْسِهَا.

دَخَلَ يُوسُفُ السِّجْنَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْ مَكِيدَةٍ دَبَّرَتْهَا امْرَأَةُ الْعَزِيزِ. وَأَثْنَاءَ وُجُودِهِ فِي السِّجْنِ، رَأَى مَلِكُ مِصْرَ رُؤْيَا أَفْزَعَتْهُ، فَعُرِضَتْ تِلْكَ الرُّؤْيَا عَلَى يُوسُفَ وَفَسَّرَهَا بِأَنَّ الْبِلَادَ سَتَتَعَرَّضُ لِأَزْمَةٍ، وَقَدَّمَ الْحُلُولَ لِمُعَالَجَتِهَا.

اسْتَمَعَ الْمَلِكُ لِذَلِكَ التَّفْسِيرِ، فَأَعْجَبَهُ وَقَرَّرَ أَنْ يَصِيرَ يُوسُفُ مُعِينًا لَهُ عَلَى أُمُورِ الْحُكْمِ، وَذَلِكَ بَعْدَ خُرُوجِهِ وَإِثْبَاتِ بَرَاءَتِهِ .

وَهَكَذَا مَكَّنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَصِيرَ وَزِيرًا ذَا شَأْنٍ وَمَكَانَةٍ عَظِيمَةٍ.

جَاءَ إِلَى مِصْرَ إِخْوَةُ يُوسُفَ لِلتِّجَارَةِ، وَعِنْدَمَا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ لَمْ يَعْرِفُوهُ، لَكِنَّهُ عَرَفَهُمْ وَلَمْ يُصَرِّحْ لَهُمْ عَنْ شَخْصِهِ.. أَكْرَمَهُمْ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ أَحْوَالِهِمْ.

قَالُوا لَهُ إِنَّهُمْ جَاءُوا مِنْ بِلَادِ الشَّامِ وَتَرَكُوا أَخَاهُمْ الأَصْغَرَ بِنْيَامِينَ ــ وَهُوَ شَقِيقُ يُوسُفَ ــ فَطَلَبَ مِنْهُمْ يُوسُفُ أَنْ يُحْضِرُوهُ مَعَهُمُ الْمَرَّةَ الْقَادِمَةَ لِيَزِيدَهُمْ فِي الطَّعَامِ.

وَلَمَّا عَادَ إِخْوَةُ يُوسُفَ قَصُّوا عَلَى وَالِدِهِمْ مَا حَدَثَ، لَكِنَّ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَفَضَ، حَاوَلَ إِخْوَةُ يُوسُفَ، وَرَاحُوا يُؤَكِّدُونَ لَهُ أَنَّ ذَهَابَ بِنْيَامِينَ مَعَهُمْ فِيهِ مَكْسَبٌ كَبِيرٌ.

أَخِيرًا، وَافَقَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى إِرْسَالِ بِنْيَامِينَ مَعَهُمْ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ عَلَيْهِمُ الْعُهُودَ وَالْمَوَاثِيقَ أَنْ يُحَافِظُوا عَلَيْهِ.

عَادَ إِخْوَةُ يُوسُفَ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى مِصْرَ، وَبِصُحْبَتِهِمْ أَخُوهُمْ "بِنْيَامِينُ". أَرَادَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ يَسْتَبْقِيَ شَقِيقَهُ مَعَهُ فِي الْقَصْرِ. فَوَضَعَ مِكْيَالَ الْمَلِكِ فِي رَحْلِ أَخِيهِ. وَمَا كَادَتِ الْعِيرُ تَتَحَرَّكُ حَتَّى أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَنَّهُمْ سَارِقُونَ.

اسْتَخْرَجَ الْجُنُودُ مِكْيَالَ الْمَلِكِ مِنْ رَحْلِ بِنْيَامِينَ، فَحَاوَلَ إِخْوَتُهُ إِقْنَاعَ يُوسُفَ أَنْ يَتْرُكَهُ وَيَأْخُذَ وَاحِدًا مِنْهُمْ بَدَلاً مِنْهُ، لَكِنَّ يُوسُفَ رَفَضَ.. عَادَ إِخْوَةُ يُوسُفَ إِلَى أَبِيهِمْ بِدُونِ بِنْيَامِينَ، وَقَصُّوا عَلَيْهِ مَا حَدَثَ. تَذَكَّرَ يَعْقُوبُ وَلَدَهُ يُوسُفَ، وَابْتَعَدَ يَعْقُوبُ عَنْ أَوْلَادِهِ، وَاشْتَدَّ الْحُزْنُ عَلَيْهِ، وَصَارَ يَبْكِي حَتَّى فَقَدَ بَصَرَهُ.

اُضْطُرَّ إِخْوَةُ يُوسُفَ أَنْ يَعُودُوا إِلَى مِصْرَ مَرَّةً أُخْرَى، وَلَيْسَ مَعَهُمْ مَالٌ يَكْفِي لِشِرَاءِ مَا يَحْتَاجُونَهُ مِنَ الطَّعَامِ.

كَانَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ قَرَّرَ أَنْ يُوَاجِهَهُمْ بِالْحَقِيقَةِ؛ فَسَأَلَهُمْ عَنْ يُوسُفَ، فَعَلِمُوا أَنَّهُ هُوَ يُوسُفُ، فَشَعَرُوا بِالْخَجَلِ، فَعَفَا عَنْهُمْ يُوسُفُ.

وَأَخْبَرُوهُ إِخْوَتُهُ عَنْ حَالِ وَالِدِهِمْ، فَأَمْسَكَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقَمِيصٍ لَهُ، وَطَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَيْهِ وَيُلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِيهِمْ، وَلَسَوْفَ يَعُودُ إِلَيْهِ بَصَرُهُ.

فَعَلُوا مَا أَمَرَ بِهِ يُوسُفُ، وَبِالْفِعْلِ عَادَ إِلَى يَعْقُوبَ بَصَرُهُ، وَحَمِدَ اللهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، وَحَضَرُوا جَمِيعًا إِلَى مِصْرَ، فَلَمَّا أَقْبَلُوا وَرَأَوْا يُوسُفَ، إِذَا بِهِمْ جَمِيعًا يَسْجُدُونَ لَهُ سُجُودَ تَكْرِيمٍ وَاحْتِرَامٍ.. هَا قَدْ تَحَقَّقَتْ رُؤْيَا يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لِأَنَّ الْأَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا هُمْ إِخْوَتُهُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ هُمَا وَالِدَاهُ.